كذلك يستطيع الفنان أن يدرس ذهنيـة الحيوان الحبيبة ، ويقرأ فى عينيه وحركاته وسكناته مزيجاً من الشعور والأفكار والذكاء الأبكم والأحاسيس البدائية .

وهو فضلا عن ذلك صفى الطبيعة وأمينها ؛ فتكلمه الأشجار والنباتات كما لو كان صديقها ، وتحدثه أشجار البلوط القديمة العقداء عن حدبها على الإنسان الذى تظله تحت أفرعها الوارفة الظلال . وتخاطبه الأزهار باهتزاز سوقها الرشيقة ، وبغناء ألوانها الشجى. إن كل زهرة وسط الخضرة لكلمة طيبة تخاطبه الطبيعة بها .

والحياة عنده متاع مقيم ، وسرور مستديم ، ونشوة جمونية . ولكنه لا يرى كل شىء فى الحياة مستطابا ، لأن الآلام التى تنتابه وتعتور أصدقاءه تتعارض مع تفاؤله وأمانيه تعارضاً مؤلماً ، ومع ذلك فكل شىء عنده جميل لأنه يمشى دائماً فى ضوء الحق النفسانى.

نعم ! إن الفنان العظيم ، وأقصد به الشاعر والمصور والمثال ليجد ، حتى فى الآلام وموت الأحباب ، وفى خيانة الأصدقاء بعض ما يغمره بفيض عجيب من السرور ولو شابته مرارة بشعة .

وقد تمر به فترات يكون قلبه أثناءها فريسة للآلام ومع ذلك نرى اللذة المريرة التى يكابدها من تفهم وتفسير تلك الآلام أقوى من الآلام نفسها وأرجح . وهو يقدس أغراض القضاء فى كل كائن حى ، ويلقى على آلامه وجراحه الدامية نظرة ملؤها التقدير والاهتمام ، نظرة الرجل الذى قرأ أحكام القدر . حتى إذا ما خانه حبيب ترنح تحت الضربة ، ولكنه سرعان ما يثبت على قدميه ويستقر ، ثم يرى ذلك الخائن مثلا طيباً للوضاعة والحقارة ، ثم إنه يرحب بالعقوق لأنه يجد فيه ما يصقل نفسه .

وكثيراً ما يكون وجده وهيامه جامحاً مخيفاً ، ولكن فى ذلك السعادة على كل حال ، لأن فيه التقدير العميق الثابت للحق والصدق.

فعندما يشاهد الناس يقتل بعضهم بعضاً فى كل مكان ، وعندما يرى الشباب الغض يذبل ويذوى ، وكل القوى العاملة تضمحل ، وكل النبوغ يخبو ، وعندما يواجه الإرادة العليا التى تملى تلك القوانين الصارمة وتفرضها على الكائنات ، تراه أكثر ما يكون اغتباطا بمعرفته ، سعيداً أيما سعادة إذ يستولى عليه حبه للصدق من جديد .

محمد بهجت

فى طريق الحياة . .

للأستاذ عبد القادر القط

فى طريقٍ مِن لَقى الأنضاء والصرعى صُواه (١)
وفضاء لم تعانق أرضَه يوماً سَماه .
مُفرَغاً ترتجع الأبصارُ حسرَى عن مَداه .
أخرب الأرضَ طليحاً تحت أعباء الحياه
وشبابٍ لم يمتّع بالشباب .

* * *

أغتدى فى زحمة الأطماع مشدوه الرّجاء .
وأرودُ الودَّ فى دنيا من الود خلاء .
مفردَ القلب وللقلب حنينٌ واشتهاء .
ظامئ الروح وللتبع بأسماعى غناء .
من وراء الغيب من خلف الحجاب .

* * *

أغتدى فى مهمه الدنيا ومالى من رفيقْ .
غيرَ روحٍ سادر النجوى وقلبٍ لا يفيق
كلما أوغلتُ فى القفر تراءت لى بروق .
وامضاتٌ بأمانىّ كأطياف الشروق .
بعد ليلٍ مدلهمٍّ وضباب .

* * *

طالما أدركتُ أن البرق خلاّبٌ جَهام
ورأيتُ القطرَ محبوساً بأطباق الغمام .
غير أنى كلما راودَ أجفانى المنام .
قذفت بى ظامئاتٌ من رِغابى للأمام .
ولقد ينجى من اليأس السراب .

* * *

(١) اللقى الشىء المطروح . والسوى أعلام الطريق

أتخطّى الصخر لا عزماً ولكنى أسير .
وعلى السائر أن يمضى وإن شقّ العبور .
لم أعد أسأل ما الجدوى ولا أين المصير .
ما سؤالى ؟ وفؤادُ القفر مسلوبُ الضمير .
ليس يصغى لسؤلٍ أو جواب .

* * *

فى طريق كم تراءت لى جنانٌ وادعات .
مثقلاتُ الدَّوح بالأثمار شتى تاضجات .
يرفُل الظلُّ بها فى مسرحٍ نَجمُ الشيات .
ويميس النهرُ فى أعطافها رحبَ الجهات .
بين أفوافٍ وألفافٍ وغاب .

* * *

كم رأت عينى وكم قد حَنَّ للروضات قلبى .
فتركتُ الدربَ مهجوراً وخلتُ الروضَ دربى .
وهفتْ للعشب أقدامى وقال الجهدُ : حَسْبى .
ورفعتُ الكفَّ لله أقضّى حقَّ ربى .
من ثناء وصلاة ومتاب .

* * *

وإذا بالروض قد حفَّتْ به جندٌ عُتاه .
لم يبالوا حرمة الحمد ولا قدسَ الصلاه .
صاح منهم صائحٌ : ردّوا عن الروض الجناه .
أغريبٌ يملكُنا المحبوبُ من بعض مُناه ؟ !
أشهروا البيض وهزّوا للحراب !

* * *

فهوتْ من حضرةِ الربِّ إلى الأرض يداىْ
وتلاشَى حَمْدِىَ المبتورُ وانجابتْ رُؤاى .
قلتُ : هذى الحربُ يا قوم أعدّتْ لسواى .
أنا منكم . طال فى البيد ثوائى وسُراى .
كيف تلقون أخاكم كالذئاب !

* * *

قد صحبت الليلَ والليلُ على البيد رهيب .
ونهاراً للحصى من قيظه العاتى وجيب .
منحتنى البيدُ بَلْواها وأخفَتْ ما يطيب .
من رُواء الفجر فى الشرق ومن سحر الغروب .
لم أنَلْ منها سوى قبض التراب .

* * *

يا صحابى روضُكم ريانُ ممتدُّ الظلال .
لن تضيقَ اليومَ بى سرحاتُه الفيحُ الطوال .
فدعونى يلتئمْ جرحى ولى بَعْدُ ارتحال .
لن أقيم الدهرَ فيه وبجنبىَّ ملال .
يخزُ القلبَ إلى هذى الشعاب .

* * *

يا صحابى ! أيها الواغل لسنا من صحابك .
اسْعَ فى قفرك ما شئتَ وهوِّمْ فى شعابك .
نحن من أصلاب مجدٍ ، امض لسنا من ترابك .
وإذا ما مسَّك الضرُّ فكفكِفْ من رغابك .
واترك الدنيا لأرباب الرغاب .

* * *

قلتُ يا أقدامَ الحسرَى إلى دَربك عودى .
وتأسَّىْ يا لهاتى من خيالى بالوعود .
واصبرى للظمأ القاتل يغتال نشيدى .
فغداً فى روضتى العذراء يحلو لى ورودى .
وأزوِّيك من الشُّهد المذاب .

* * *

روضتى العذراء فى الربوة لم يُطمَثْ ثراها .
خلف هذى القفرة الجرداء قد طاب جَناها .
ضلَّ عنها الناسُ واستخفى عن الناس شذاها .
قلبى العامرُ بالإيمان يوماً سيراها .
وسيلقاها وإن طالَ الغياب

عبد القادر القط